

مسرح ذوي الاحتياجات الخاصة في الجزائر بين الواقع والمأمول

Theater for people with special needs in Algeria between reality and hope

د/عثمان ميهوبي*

جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 2
(الجزائر)

a.mihoubi@univ-setif2.dz

الملخص:

معلومات المقال

يشكل المسرح بشتى أنواعه المختلفة آلية من آليات التفاعل الدرامي بين جمهور المتلقين والممثلين على الركح، وفق منظور سينوغرافي يشتغل عليه المبدع والمخرج على حد سواء، ومن هذا المنطلق جاء مسرح ذوي الاحتياجات الخاصة ليزاحم أنواع المسرح الأخرى باعتباره حلقة تربط شريحة واسعة في المجتمع بواقعها، وتكشف مختلف الآمال والألام التي تعيشها نظراً للمعوقات التي ما فتئت تعترض طريق المعاق، أو صاحب الحاجة، وتقرض نمطها عليه، ومن الأهداف التي تسعى الدراسة للاشتغال عليها منها طرح فكرة مسرحية التصوص الخادمة لذوي الاحتياجات الخاصة في الجزائر تأليفاً وتجسيداً على خشبة المسرح، مع الوقوف على أهداف واقع هذا الفن في الجزائر والسبل اللازمة للنهوض به، في ظل رؤية معرفية وإبداعية حديثة.

ومن هنا جاءت هذه الورقة البحثية لرسم صورة واقعية لمسرح ذوي الاحتياجات الخاصة بالجزائر، والعمل على تحديد السبل والآليات الناجعة للنهوض به، وجعل فن المسرح خادماً لهذه الشريحة من المجتمع قصد تحقيق فعل التكيف والاندماج في المجتمع.

تاريخ الارسال:

2025-01-04

تاريخ النشر:

2026-06-12

الكلمات المفتاحية:

- ✓ المسرح
- ✓ ذوي الاحتياجات الخاصة
- ✓ التفاعل الدرامي
- ✓ الجمهور
- ✓ المعاق
- ✓ الجزائر

Abstract :**Article info****Keywords:**

- ✓ Theater
- ✓ People with special needs
- ✓ Dramatic interaction
- ✓ Audience
- ✓ Disabled
- ✓ Algeria

The theater, in all its different forms, represents a mechanism of dramatic interaction between the audience and the actors on stage, based on a scenographic perspective that the creator and director both work on. From this standpoint, theater for people with disabilities has emerged to compete with other forms of theater, as it serves as a link connecting a wide segment of society to their reality. It reveals the various hopes and pains they experience due to the obstacles that continually obstruct the disabled or needy person's path, imposing a certain pattern on them. Among the goals that this study aims to work on is to propose the idea of staging texts that serve people with disabilities in Algeria through writing and embodying them on stage, while addressing the goals and reality of this art in Algeria and the necessary ways to promote it, in light of modern knowledge and creative visions.

This research paper has been created to portray a realistic image of the theater for people with disabilities in Algeria, and to work on identifying effective means and mechanisms to promote it, making the art of theater serve this segment of society in order to achieve adaptation and integration into the community.

1- مقدمة:

يقودنا الحديث عن فاعلية الفن باعتباره آلية علاجية لدى الكثير من الأمم والحضارات عبر الأزمنة وتعدد الأمصار إلى فكرة تلقي مختلف الأجناس الأدبية لدى هذه الأمم السابقة، وطريقة التفاعل معها باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من البناء السيكي ثقافي للإنسان منذ القدم، وبما أنّ الحضارة هي حلقات متكاملة في جوهريها العام، إذ لا تنقطع هذه الأطوار بل يكمل بعضها البعض، هذا الأمر أدى إلى ميلاد العديد من القضايا والفنون الأدبية، والتي لا زالت تشكل بؤرة أدبية للإنسان، ولعل أهمها فكرة التفاعل والتواصل مع الفن، من هنا ارتأينا التطرق إلى موضوع أدبي اجتماعي ألا وهو مسرح ذوي الاحتياجات الخاصة، في الجزائر تحت عنوان: مسرح ذوي الاحتياجات الخاصة في الجزائر بين الواقع وآليات التكفل، وقد استدعى العنوان طرح الإشكالية الآتية: ما مدى حضور مسرح ذوي الاحتياجات الخاصة في الجزائر وما الدور المنوط بالمسرح نحو ذوي الهمم؟ وكيف يمكن للمسرح المساهمة في التكفل بهذه الفئة من المجتمع؟

تُعد هذه الشريحة حلقة مهمة من حلقات المجتمع، والتي نالت حظّها عند الكثير من الأمم خاصة الغربية منها، كغيرها من دول العالم العربي والإسلامي كان للجزائر بصمة وواقع أثر في إطار، التعريف والتكفل بهذه الشريحة، وبما أنّ المسرح هو جنس أدبي رافق الإنسان منذ العصور القديمة خاصة اليونانية والرومانية، وغيرها إذ هو فن يتكيف ويتطور مع الإنسان، وينفتح على عوالم ورؤى، ربّما تعجز عنها أجناس وفنون أدبية أخرى، رأينا بضرورة تفعيله كآلية من آليات التكفل بهذه الفئة الاجتماعية في الجزائر، وإعادة النظر فيها، فكمّا أنّ للأصحاء مكانة وقيمة مجتمعية وجب كذلك التركيز على هذه الفئة التي تحمّل بين جنباتها الكثير من المواهب والكفاءات التي عزّ نظيرها عند الكثير من الأصحاء، وبإعادة البحث والتنقيب في المشكلات والقضايا التي تحيل دون اندماجهم في المجتمع بكل أطيافه، جاء المسرح كآلية من آليات المعالجة الدرامية، حيث يفتح هذا الأخير باباً لكل شرائح المجتمع المختلفة، وي طرح مختلف القضايا والرؤى في صور تمثيلية مشهده يسودها الحوار والحركة في جو سينوغرافي، بحيث ينتقل من بالجمهور من المضمون النظري للأفكار إلى صور حية تمثيلية حاضرة على الركب، ومن هنا يظهر جليا الدور الإيجابي للمسرح وهو يشخص ويعالج مثل هذه الأنواع المختلفة والمتعددة للمسرح.

ولعل من الأهداف التي يسعى البحث تحقيقها كيفية التكيف والتأقلم عند ذوي الاحتياجات الخاصة وفق المنهج الوصفي مع آلية التحليل، على اعتبار أنّ المسرح من الفنون المتنوعة التي ساهمت في مسألة المعالجة سواء في مجالها السيكي درامياً أو النفسي، باعتباره حلقة تدلهم في التجارب وتتألف فيها

الخبرات والرؤى المختلفة في إعادة النظر لشريحة واسعة في المجتمع العربي عموماً، والجزائر واحدة من تلك؛ إذ ظهرت تجارب ومحاولات جادة في هذا المجال سواء على مستوى الكتابة كنصوص نظرية مسرحية، أو على مستوى التجسيد على الركب، من هنا تجلت الأهمية البالغة لهذا الموضوع فحاولت تقديم رؤية ترسم لنا واقع المسرح الموجه لذوي الاحتياجات الخاصة بين بعديه الواقعي، وآليات الاستشراف والتطوير له كآلية من آليات العلاج الموجه لهذه الفئة.

2- مسرح ذوي الاحتياجات الخاصة في الجزائر:

تشكل فئة ذوي الهمم نسبة ليست بالقليلة في البنية التركيبية للمجتمع الجزائري خاصة في الآونة الأخيرة، إذ تعد واحدة من أهم القضايا المتفق عليها في نظر الكثير من كتاب المسرح والنقاد والمبدعين، حيث يشكل المسرح نواة رئيسة من بين الفنون البالغة التأثير على هذه الشريحة -ذوي الاحتياجات الخاصة- ويتجسد ذلك على مستوى التلقي أو الأداء معاً؛ إذ يعدّ بالنسبة لهم متنفساً يعبرون به عن أفكارهم ومكبوتاتهم، وبه يتواصلون مع غيرهم عن طريق الإفصاح عما يمتلكونه من مواهب وطاقات كغيرهم من الأصحاء.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ المسرح الجزائري أعطى جانباً لمثل هذا النوع من القضايا، إلا أنّه لم يرتق إلى مصاف ما هو مطلوب خاصة حين تعلق الأمر بهذه الفئة الاجتماعية التي لازالت تعاني في صمت، وقليلة هي الأعمال المسرحية التي عالجت في مضمونها العام فكرة ذوي الاحتياجات الخاصة، ونشير هنا إلى بعض المسرحيات التي اتخذت من هذا الموضوع مادة لها كمسرحية "معاق ولكن" للكاتب الجزائري "نبيل محمد زراق" (*) التي عرضت سنة 2015، والتي بناها الكاتب على فكرة محورية تجلت في نظرة المجتمع للمعاق أو الإعاقة في حدّ ذاتها وضرورة التكيف معها، وقبول التحدي لمختلف مصاعب الحياة الاجتماعية والنفسية على اختلافها وتنوعها.

يرى "نبيل محمد زراق" من خلال عمله هذا ضرورة وجوب احتواء هؤلاء المعاقين، والعمل على تصويب نظرة المجتمع لهم، وعلى اعتبار أنّ العمل الدرامي هو تجسيد للحياة؛ حيث راح الكاتب يخوض من هذه فكرة لصراع الواقعي، وما ذلك إلا أنّ الحياة البشرية نفسها قامت منذ الأزل على الصراع (بلبل، 2003، صفحة 53)، ويضرب على وتر صراع المعاق مع كل ما يحيط به انطلاقاً من إعاقته، وتبني سبيل ونهج الصبر والتحدي والصمود وتجاوزها، والأعمال الإيجابية التي قدمها الكاتب للمعاق الذي اختار التحدي سلاحاً ونمطاً في الحياة مهما كانت المعاناة والآلام التي تعترض سبيله، وهونهج ناجح لكل من ابتلاه الله بالإعاقة مهما كان نوعها ونسبتها، أما الصورة الثانية التي عرضها الكاتب فجاءت ضد الأولى فقد ظهرت الشخصية المعاقة السلبية التي أثرت الاستسلام والخضوع للمعاناة والانصيهار في رحم اليأس والفشل دون صبر ومقاومة للحياة، وهي صورة سلبية جاء المسرح بآلياته المختلفة قصد محوها وتجاوزها، والعمل على بناء شخصية رزينة وقوية أمام المجتمع والحياة.

وقد جاءت هذه التجربة الإبداعية لنبيل محمد زراق قصد وضع هذه الفئة أمام الجمهور، ليكشف لهم ما تعانيه من صعوبات ونوائب فرضتها عليهم الحياة في شتى ميادينها خاصة الاجتماعية والنفسية، وتعد هذه التجربة المسرحية نصّاً وإنجازاً على ركع المسرح، نموذجاً تجريبياً من خلال التحرر من الهيكل العام للمسرح الكلاسيكي، خاصة ما تعلق بالقضايا الجديدة التي رافقت الحياة الاجتماعية «تجدر الإشارة إلى أنّ لكلّ عصر فنّه وشكله الممتازين وأن المسرح ذاته ليس صيغة واحدة، هي الصيغة التي استوردها العرب عن الغرب» (الراعي، 1999، صفحة 478).

فحتمية خوض غمار تجارب جديدة تعالج مواضيع لازمت الحياة أصبح أمراً لا مناص منه، وتعدّ مسرحية القضايا الاجتماعية من أهم ما جادت به أقلام الكتاب وخاصة تلك التي تاهمت مع المجتمع في طابع علاجي كمسرح ذوي الاحتياجات الخاصة.

ويُعد "نبيل محمد زراق" من الكتاب الجزائريين الذين كان لهم حضورا جليا في هذه القضايا بطريقة واقعية لامست الحياة في صورها، فالكتاب من ذوي الهمم العالية، إذ لم تمنعه إعاقته كفرد من أفراد المجتمع من خوض غمار تجربة الكتابة والتأليف في الأدب والحياة، وتقديم ما يمكن أن يعرف بهذه الشريحة -ذوي الاحتياجات الخاصة- ولسان حاله يقول أنا النص وأنا الممثل وأنا المبدع في الوقت نفسه.

وبالعودة إلى المسرحيات التي ناقشت الموضوع ذاته نجد مسرحيه "محاكمة" للكاتب ذاته، والتي عرضت سنة 2018، فهي نص كتب عما يتعرض له ذوو الهمم العالية في حياتهم اليومية، والمحاكمات التي يتعرض لها صاحب الإعاقة في شتى مناحي الحياة التي يعيشها، وهنا يمكننا الإشارة إلى أن هذا النص - محاكمة - «كان عنوانه حبّ في زجاجة، وتم تغييره إلى محاكمة، كما تم تغيير العديد من الحوارات بين الممثلين» (سليمان، 2023-2024، صفحة 102). عموما هذا النص هو عبارة عن لوحة فنية واقعية تجسد معاناة وآلام ذوي الاحتياجات الخاصة في تعامله مع الحياة.

تتشكل في هذه المسرحية صورة المعاق من أجل ما يتمناه وهو يبحث عن الزواج ممّن يحب، وهنا تتجلى صورة المجتمع الحقيقية في مسألة تزويج الفتاة من معاق، يجلس على كرسيّ متحرك وهذه الصورة امتحان لأهل الفتاة من منظور سيسيولوجي، فالمجتمع ينظر لهذا الشخص نظرة تعبر عن محدوديته وقصوره، نظراً للإعاقة خاصّة إذا كان على كرسي متحرك.

ولا شك أنّ صاحب الإعاقة مهما حاول الانسجام مع العادات والتقاليد يصطدم بمعوقات وعلل تقف كحاجز بينه وبين أمانيه، وتجسيد أفكاره، مما يجعله في صراع نفسي واجتماعي متواصل لا ينقطع، ومثال ذلك ما ورد في نص مسرحية "محاكمة": «واش بيبك داخل هكذا يا راجل، لا سلام لا كلام، خير إن شاء الله، كاش صفقة تجارية راحت باطل، ما عlish رب حنين كريم، المفروض ما زالت الفرحة نتاع بنتك تظهر على وجهك».

المدير: الفرحة نتاع بنتي وتزيدي تحلي فمك. ياو بنتك خطبني فيها واحد.

أم مريم: إيه وعلاش لا لا. إذا كان إنسان من مقامنا، ولا باس بيه وباباه كاينلو يالله.

المدير: ياوhandicapوليد بوعلام الخدام Comme quoiقراو كيف كيف» (سليمان، 2023-2024، صفحة 103).

هنا يجسد الكاتب صورة العائلة وهي تستقبل خبر تقدم أحد الشباب من ذوي الهمم لخطبة ابنتهم، ورغبة الأم والأب على حد سواء تزويجها ممن هو في مستواها.

ويتواصل الحديث حول موقف الأسرة من هذه الخطبة على لسان الأم مريم «أم مريم: بوه على سعدي بوه، عطفنا عليه كسلّ رجليه أنا بنتي مستحيل نزميها في يد واحد كيما ذاك» (سليمان، 2023-2024، صفحة 103)، وفي هذا المقطع تتضح صورة الرفض المطلق للمعاق دون نقاش أو جدال فهو غير مؤهل في نظر المجتمع تماما لخوض تجربة الزواج.

يتجلى من خلال هذا الحوار الدرامي الذي دار بين الزوجين نظرة المجتمع للمعاقhandicap، فهو في نظر العامة عاجز عن القيام بشؤونه، وهو الضعف التي يحتاج إلى رعاية وحماية، وهنا تتجلى نظرة الشفقة من جهة والرفض المطلق له على خوض تجارب حياتية كغيره من الشباب، وكل هذا يحدث في غياب تام لمواهبه وإمكاناته الخاصة التي حظي بها وهي كفاءات ربّما لا تتحقق عند السليم.

يقدم هذا الكاتب أنموذجا رائعا حول فكرة المعاق من خلال نص مسرحية محاكمة، وهي المسرحية التي جسدت حقيقة بعض ما تعانيه هذه الشريحة في صمت، والأمر الذي جعل من هذه المسرحيات تنال إعجاب الكثير من الباحثين والنقاد والأدباء في هذا المجال، أن الكاتب والمخرج اشتغلا على شخصيات حقيقية واقعية من ذوي الاحتياجات الخاصة، أي قدمت المسرحية أمام الجمهور بشخصيات تعيش التجربة حقيقة لا تمثيلا، فالممثلون أنفسهم معاقون فعلا، وهو الأمر الذي سهل نقل الموضوع للمتلقى

المشاهد، وتجسيد الفعل الدرامي أمام الجمهور في أجمل وأبهى صورة واقعية، ما يحقق في نظرها فعل التطهير عند الممثل (المعاق) والمتلقي للمسرحية على حد سواء.

قد استطاع نبيل محمد زراق من خلال هذه النماذج المسرحية فتح مجال واسع لهذه الفئة التي تشكل جزءاً مهماً من المجتمع الجزائري، والتي ترى أن ما كتب في هذا النوع من المسرح غير كافٍ مقارنة مع توليه الكثير من الدول خاصة الغربية منها في إطار الاهتمام والسعي لإدماج هذه الفئة في المجتمع وإعادة تأهيلها نفسياً واجتماعياً.

يعتبر ما قدمه هذا الكاتب تجربة رائدة حاول من خلالها طرح ومناقشة هذا الموضوع المتشعب والذي لم يأخذ حظه بالدراسة والتحليل سواء على المستوى الاجتماعي أو العلمي، وقليلة هي الدراسات الجزائرية المتعلقة بهذا الموضوع، والجميل الذي رأيناه في هذا العمل تحقق قضايا وأفكار قلما تحدث في المسرح العادي، فالمخرج من ذوي الهمم العالية، والممثلون كذلك وهو ما جعل النصين يأخذان طابع القبول والرضا لدى جمهور المتلقين ومن هنا تتمظهر فكرة التطهير الأرسطي في النظرة، فكلما كان الفعل الدرامي مبني على صور ونماذج واقعية في الصور والشخصيات، ولباسها وطريقة تمثيلها وتجسيدها للفكرة الدرامية، كلما وجد تواصلًا واندماجًا مع العمل المسرحي.

يعد المسرح مرحلة جد متطورة في بناء وعلاج ومناقشة قضايا ذوي الاحتياجات الخاصة، فكلما نمت وتطورت فكرة الكتابة فيه، والسعي الدؤوب على إثراء مواضيعه كلما تم احتواء العديد من القضايا النفسية والاجتماعية، فالمسرح هو الخشبة الواقعية، والصورة الحقيقية للعديد من الأفكار التي يجهلها الكثير من الناس، أو لهم زاوية نظر بسيطة حولها فتجسيد الفعل على الركح ترتسم ظواهر وقضايا كثيرة خاصة ونحن نتحدث عن موضوع ذوي الهمم العالية في الجزائر من زاوية التشخيص وطرح الحلول المناسبة.

3-فاعلية المسرح وذوو الاحتياجات الخاصة:

لا يختلف كتاب المسرح ونقاده في فكرة احتفالية المسرح من حيث هو ظاهرة جماعية تسعى لتحقيق فائدة أو معالجة قضية ما في إطار العرض الدرامي، الذي يقوم على مختلف الوسائل التي تقدمها السينوغرافيا، فحضور ذوي الاحتياجات الخاصة في قاعة المسرح كمتلقين للمشهد، أو كمشاركين في الفعل الدرامي لا شك في أنه يتطلب قوة وشجاعة وإرادة، فوقوف صاحب الإعاقة أمام الجمهور والعمل على تجسيد دور ما في هذه الظاهرة التشاركية هو مرحلة فارقة بالنسبة له، وهو الأمر الذي يعزز قواه النفسية ويرفع معنوياته وكفاءاته الذاتية مع نفسه ومع جمهور المتلقين، فمهما كانت نوعية الإعاقة أو المشكلة التي يعاني منها هذا الشخص، بمجرد اندماجه مع المجموعة وتفاعله مع أقرانه من خلال تجسيده الدور المنوط به يرفع ثقته بنفسه، ويجعله ينتقل إلى مرحلة تتجاوز إعاقته وتأقلمه مع الغير.

ومما لا شك فيه أن ذوي الهمم العالية، على اختلاف نوع الإعاقة أو المشكلة التي وصفوا بها، يملكون طاقات إبداعية كامنة، تبحث عن يحركها ويحررها من خمولها، فهم يتساوون مع أترابهم الأصحاء في هذه المواهب والقدرات، والمسرح باعتباره وسيلة دمج وترفيه عن النفس بالنسبة لهذه الفئة، «إن شعور الفرد المعاق بالعجز والنقص والضعف يدفعه إلى الانطواء والعزلة، فيشعر بالأسى والحسرة وكراهية نفسه والحياة من حوله» (سالم وآخرون، دت، صفحة 9)، وهنا جاء عنصر التمثيل والاحتفال والتشارك مع الآخر في الحدث الدرامي قصد التخلص من كل تلك الأوجاع النفسية ونسيانها، والتألق مع من يشاركونه نفس الوضعية.

ويتميز المسرح على غيره من الفنون الأدبية الأخرى بميزات ربما لا توجد في أجناس أدبية أخرى، إذ هو ينفصلنا من النص المدون إلى المشهد التمثيلي، وهنا يجد الممثل «ضرورة قصوى في رسم عوالم الشخصية الداخلية وجعلها متطورة، ومؤثرة، لذلك استوجب فن التمثيل الإفادة من روح التربية لخلق جسد مرن ومطاوع ومتحفز». (عقيل، 2001، صفحة 66). فالمسرح إذ يحرك الوتر الداخلي لصاحب

الإعاقة ويجعله ينطلق من عملية الاعداد والتحضير النفسي والبدني، إلى مرحلة التحفيز والتشجيع ليصل إلى مرحلة التجسيد والتطبيق على المسرح.

إن مرور ذوي الاحتياجات الخاصة عبر هذه المراحل يجعل منهم أكثر حضوراً نفسياً وبدنياً، وأكثر تفاعلاً وتأقلاً مع أصدقائهم ممن هم في سنهم سواء أصحاب أو أولئك الذين يشاركونهم الإعاقة نفسها أو مع جمهور المتلقين -النظارة- مما يكسبهم سعادة وشجاعة للبوح والتعبير عما يختلج في أنفسهم من آلام وآمال فيتحقق فعل التطهير الأرسطي عند الممثل والجمهور على حدّ سواء. ومن هنا وجب الحرص على نسج خيوط مسرحية تعجل من قضية ذوي الاحتياجات الخاصة موضعاً لها، فلامناص من جعل الممثل هو نفسه الحامل لرسالة غيره سواء من جهة الإعاقة أو من جهات نفسية مختلفة، ولعل هذه الآلية هي التي تؤهل النص المسرحي للنجاح في رحلته الإبداعية من الكتابة إلى العرض، فتشكل الفعل الدرامي والصورة المشهدية على الركح من طرف ذوي الاحتياجات الخاصة في نظرنا بأدوار وتمثيلات ينجزونها بمرافقة السينوغرافية والموسيقى وكل ما تعلق بتأثيث الخشبة أمام الجمهور عامل مهم في نجاح العمل الدرامي، وتحقيق الأفكار من خلال الصورة الواقعية الحقيقة للجمهور.

إن العمل الجاد على نقل النص من الجانب النظري إلى الجانب التطبيقي في المسرح أمر ليس بالهين، إذ تتجلى معوقات وعوامل كثيرة تسهم في النقل الصوري للمشاهد على اعتبار أن المسرح هو الفن الأدبي الذي ينبني على ثنائية الكتابة والعرض، فالنصوص المسرحية الناجعة هي التي تلقى رواجاً واهتماماً ولا يتحقق لها ذلك إلا بالعرض والتمثيل الواقعي فـ "النص الدرامي هو النص الأدبي الوحيد الذي لا يمكن قراءته قراءة تعاقبية، والذي لا يستوعب إلا في كثافة العلامات المتزامنة أي العلامات المتراسة في الفضاء، أي كانت عملية الفضاء التي ينتجها النص" (أوبرسفيد، 1996، صفحة 213). ومن هنا يمكن القول أن أهم عوامل نجاح وتفوق النص المسرحي بتنوع مواضيعه واختلافها هو التجسيد على الخشبة، وهنا يدخل الجمهور كعامل نقدي بناء في التأثير بهذا العمل الفني والحكم عليه، ومما لا شك فيه أن المسرح الموجه للنظارة إن كان يحمل رسائل واقعية حقيقة كمسرح ذوي الاحتياجات الخاصة سيلقى بالغ التأثير، زيادة على ذلك حضور صاحب الإعاقة كممثل معبر عن نفسه وعن الشريحة الواسعة التي تعيش الظاهرة الجسمانية أو النفسية ذاتها، ولطالما حدثنا المسرح عبر أطواره المختلفة منذ القديم إلى اليوم عن مثل تلك الصور المشهدية المختلفة كصورة الممثل الأعمى وصاحب الحدة والمعاق وغيرها، وبناء عليه يمكننا القول أن المسرح هو آلية مهمة جداً في تحقيق الانسجام الأسري والاجتماعي، وهو حلقة بناءة في احتواء ومعالجة الكثير من المشاكل الاجتماعية بتوظيف مختلف آلياته المحفزة على الاندماج والتأقلم في الحياة.

4- معوقات مسرح ذوي الاحتياجات الخاصة في الجزائر:

لعب المسرح عبر الزمن أدواراً رائدة في معالجة الكثير من القضايا الهامة التي صاحبت الإنسان في حياته اليومية، ولعل مصطلح التطهير، أو التنفيس الذي وضعه أرسطو في كتابه "فن الشعر" دليل على الأهمية الوظيفية للمسرح وعلى اعتبار أن هذا النوع -مسرح ذوي الاحتياجات الخاصة- يحتاج إلى مجموعة من المتطلبات والقضايا التي تؤهلها حقيقة لمعالجة مثل هذه القضايا السيسولوجية والسيكولوجية، فقد اعترض طريق الباحثين والكتاب في العالم العربي عموماً مجموعة من المعوقات حالت دون تطور هذا النوع من المسرح، كما جعلت منه مسرحاً لا ينافس الأنواع الأخرى خاصة على قاعات العرض، وفي النص المسرحي.

إن الحديث عن المشكلات التي اعترضت سبيل هذا النوع المسرحي في الجزائر يقودنا للتعرض لتلك العلل التي حالت دون ذلك ولعل من أهمها ما يلي:

○ يحتاج النص المسرحي الموجه لهذه الفئة إلى كُتّاب ومبدعين تتوافق ميولاتهم وأفكارهم مع الحالات النفسية والفيزيولوجية التي يعيشها ذوي الهمم العالية، وتشخصها، وهذا ما تفتقر إليه الساحة الإبداعية الأدبية في الجزائر، عدا تلك الشهب التي تظهر هنا وهناك والعديد منها لم يجسد على الرّكح.

○ الاكتفاء بجعل صاحب الإعاقة متلقياً كغيره من الجمهور لا ممثلاً نظراً لعدة اعتبارات، حتى وإن كان العرض يعالج ويشخص الكثير من القضايا والمواضيع ذات الصلة بهم، وما يعانونه من إعاقات وأمراض وعقد نفسية، وغيرها «من أهم المشكلات التي تواجههم أنهم يعاملون بدرجة كومبارس، ويتم الاعتماد عليهم في العروض المسرحية كضيوف، فما المانع أن يقدموا عروضهم بمفردهم من الألف إلى الياء» (رأفت، 2021، صفحة 14). فالواجب يقتضي فتح الباب على مصراعيه أمام هذه الفئة قصد التعبير عما تملكه من مواهب والبوح بمكنوناتها للمجتمع.

○ قلة الدراسات الأكاديمية والعلمية التي تسعى إلى تسعى للتكفل بذوي الاحتياجات الخاصة في الوطن العربي أو في الجزائر، وهو الأمر الذي كرس قلة الندوات والمؤتمرات والملتقيات الدولية والوطنية التي تشتغل في هذا الإطار.

○ يعتمد مسرح ذوي الاحتياجات الخاصة في نظرنا على شخصيات تعيش أو عاشت التجربة مهما تنوعت الإعاقة (المشكلة) التي يعاني منها الشخص. وهنا نطرح فكرة المرافقة النفسية والقراءة السيكلوجية الدرامية لهذه الشخصية، مما يفتح المجال أمام الكاتب والمخرج للعمل الدرامي على حد سواء قراءة ومتابعة الشخصية الممثلة للفعل الدرامي على الرّكح، ومراقبة كل ما يتعلق بها من عوامل داخلية (نفسية) وخارجية فيزيولوجية، وهو الأمر الذي جعل الكثير من المبدعين يعملون على خوض تجربة في هذا المجال.

وتحتاج الكتابة والإبداع والتأليف في هذا المجال إلى «دراسة وبحث مكثفين حول هذه القيمة، وتحتاج إلى مهارات كتابية عالية (موهبة) وخبرة في الكتابة المسرحية» (سليمان، 2023-2024، صفحة 113). فانهدام الدعم المعنوي والمادي وقلة الاهتمام بمسرحية النص الموجه لهذه الفئة تشكل عائقاً أمام بعث تجارب حقيقية في هذا المجال.

5- المسرح وآليات التكفل بذوي الاحتياجات الخاصة في الجزائر:

كان الفن ولا يزال حلقة مهمة في جعل الإنسان يعيش حياته بكل عناصرها الجميلة والحزينة على حد سواء، والمسرح من الفنون الجميلة التي ما زالت ترافق الفرد وتسعى لفتح باب الفرحة والفكاهة والتنفيس عند ذوي الاحتياجات الخاصة، وكشف ما يعانونه من مشكلات في الحياة.

ومن هنا كان لابد من وضع آليات وميكانيزمات تساعد في دمج هذه الشريحة الواسعة في المجتمع، من منظور فعل درامي، أي جعل هذه الفئة تكتسح مجال المسرح كتابة وتمثيلاً على الرّكح، والعمل على توجيه الأولياء، وذوي الهمم العالية أنفسهم بالتعرف بهذا الفن وضرورة الاقبال عليه، وجذبهم إليه من خلال دمجهم في المسرح والخشبة والفرق المسرحية النشطة «ولا بد أولاً من جذب ذوي الهمم لفن المسرح، بتعليمهم بشكل عملي ونظري لاستقبال فن المسرح لهم، ولعبة دمجهم مع الأصحاء» (سليمان، 2023-2024، صفحة 113). فدمج هذه الفئة في المسرح تلقياً وأداءً لا شك أنه يساعدهم في الترويح عن أنفسهم والتعبير عما يختلج صدورهم.

وجب التشجيع على تأليف نصوص مسرحية موجهة لهذه الفئة، وإن كنا لا نملك تجربة حقيقة في هذا المجال، لكن لا ضير بخوض غمار هذه المغامرة من خلال دعوة الكتاب المسرحيين وكبار النقاد للدراما قصد إعادة النظر في هذا المجال. وذلك بالدعوة للكتابة والتأليف في هذا المجال، وياحبذا لو تكون هذه النصوص متقاربة جداً مع ذوي الاحتياجات الخاصة، أو تفتح كنص تجريبي للمعاق، أو

صاحب التجربة لخوض غمار الكتابة والتمثيل والتجسيد على ركح المسرح، وإن كان الأمر يحتاج الى فرق متخصصة والكثير من الوقت.

إنّ العمل على الأخذ بيد المعاق (صاحب المهمة) نحو التواصل مع غيره ممّن يعيشون التجربة ذاتها -الإعاقة- ومحاولة دمجهم مع محيط الأصحاء فيه الكثير من الأمل لكسر خوفه وبناء ثقته بها، مما يجعله قادراً على خوض تجارب الحياة الاجتماعية والثقافية، ويتجاوز كل العقبات التي تعترض سبيله. ومن الضروري جداً أن تولي المنظمات والجمعيات الوطنية والعالمية أهمية بالغة بهذه الفئة، وذلك يفتح قنوات للتواصل والمشاركة وتبادل التجارب في إطار دمج فئة ذوي الاحتياجات الخاصة مع أقرانهم، وفق منظور التمثيل والمسرح، وذلك بعقد مؤتمرات دولية ووطنية وتقديم الخبرات الناجحة في المجال، بدءاً من التأليف، والخراج، والسينوغرافيا وغيرها واعتبار هذه الشخصيات - ذوي الهمم - شخصيات مؤهلة جد لتقص شخصيات الأصحاء في التمثيل والأداء وهنا « لا يمكن إنكار السمة الفردية للشخصية الدرامية من حيث أنها تمتلك هوية وأنها تتميز باسم لها» (أوبرسفيدل، 1996، صفحة 186). فمهما كانت الشخصية تحمل من صفات وجب التأقلم معها في البناء الدرامي.

وعليه يمكننا القول إنّ مسرح ذوي الاحتياجات الخاصة في الجزائر يسير بوتيرة بطيئة نظراً لقلة الكتابات الإبداعية فيه، وقليل هم أولئك الذين تخصصوا في مجال البحث والتقيب في مثل هذه المواضيع مقارنة بما يكتب في باقي أنواع المسرح المعروفة وطنياً وعالمياً.

نستنتج إذاً أنّه لا مناص من فتح الباب أمام التجارب المسرحية، ودعمها حتى ترى هذه الفئة النور أمام الغير، ويتحقق لها ما تصبو إليه من تموقع ضمن البنية الاجتماعية والأسرية، في إطار ممارسة الحياة بشتى صورها المختلفة، ولابد من تجسيد الدور الفعلي في الحياة، أو ما يصطلح عليه بالفعل الدرامي في العمل المسرحي، إذ أصبح لزاماً علينا نقل المعاق أو كل من له مشكلة نفسية أو خلقية إلى عالمه الذي يصبو إليه تجسيدا وتفعيلاً على أرض الواقع حتى تتحقق له فكرة وجوده وأهميته في هذه الحياة.

6- خاتمة:

يشكل المسرح حلقة مهمة في بناء المجتمع منذ القديم، وذلك باعتماده على تقنيات ووسائل سينوغرافية متعددة ومختلفة، وبناء على أن فئة ذوي الاحتياجات الخاصة حلقة من البناء السيسولوجي للمجتمع جاء هذا الفن كوسيلة من الوسائل التي فرضتها السيكو دراما لعلاج الكثير من القضايا والمشكلات ذات الصلة بذوي الاحتياجات الخاصة، وهو الأمر الذي تحقق في التجارب المسرحية الجزائرية كتابة وتمثيلاً رغم قلتها.

ومن هذه الزاوية حاولت طرح قضية واقع المسرح الموجه لذوي الاحتياجات الخاصة في الجزائر، في مجالي الكتابة النصية، والتمثيل على حد سواء، والعمل على رسم صورة تفاعلية لهذا الفن، باعتباره وسيلة ناجعة للدفع بالتنفيس وحل الكثير من القضايا العالقة ذات الصلة بذوي الهمم الخاصة، إذ به يتعرف الجمهور -النظارة- على آلام وآمال هذه الشريحة التي حباها الله إمكانات ومواهب متعددة ومختلفة ربما لا توجد عند الأصحاء من أترابهم.

لقد خطى المسرح الجزائري خطوات نحو التعريف والتنظير لهذا النوع من المسرح السيكو درامي، والذي يقوم على الكتابة ثم الفعل الدرامي، أي الانتقال من النص النظري إلى التجسيد الحقيقي لذوي الاحتياجات الخاصة على خشبة المسرح، باعتباره المعبر الحقيقي عن ذاته وأفكاره، وهو لسان حال شريحة واسعة من المجتمع تعاني في صمت، وهنا نقترح إعادة النظر والتفكير بطريقة جدية من الكتاب والنقاد الجزائريين في إنتاج نصوص مسرحية تشفي غليل فئة ذوي الاحتياجات الخاصة على غرار ما سبق التطرق إليه، فالمسرح كآلية تنصهر فيها الكثير من الرؤى والأفكار القابلة للتجسيد على الركح، وهو كجنس أدبي يحمل بين طياته الكثير من الميكانيزمات التي لا شك في أنّها تساعد في دمج وصهر

هذه الشريحة في المجتمع، وما عنصر التمثيل وطرح الأفكار الغائبة عن مختلف أنواع المسرح الأخرى سوى دليل على الأهمية القصوى له، وكما نقترح هنا على كل الفئات النشطة في هذا المجال تحريك عجلة النهوض والاستنهاض بهذا النوع المسرحي في الجزائر كتابة وتمثيلاً.

إن مسرح ذوي الاحتياجات الخاصة في الواقع المعاش أصبح من الآليات الضرورية للتنفيس وعلاج الكثير من العقد والآلام لدى فئة ذوي الهمم العالية، ولعل المسرح كجنس أدبي مبني على الفعل الدرامي الواقعي جعل من هذه الفئة تجد ضالتها في كنفه، يعبر بنفسه عن نفسه وليس بينه وبين الناس حاجز، إذًا الصورة جلية على خشبة أمام الجمهور الذي عادة ما يرى معاناة ذوي الهمم برؤية جزئية، أو ربما لا يشعر بها أصلاً على اعتبار أن هذه الفئة ظهرت بنسب متفاوتة بين شرائح المجتمع، وبناء عليه جاء المسرح بكل مضامينه الفكرية وقيمه المختلفة، والسينوغرافية ليضرب على وتر جعل الجمهور يعيش تجربة ذوي الهمم ويعيشها على الركح بكل تفصيلاتها، والأمر المميز الذي جعل الكثير من الكتاب يتفوقون في هذا النوع من المسرح هو الاعتماد على صاحب الإعاقة حقيقة ليكون الممثل والسفير لهذه الفئة على الركح.

7- قائمة المراجع: طريقة (APA)

1. الراعي، م. ع. (1999). المسرح في الوطن العربي، عالم المعرفة (Vol. 2). الكويت: عالم المعرفة.
2. أوبرسفيلد، آ. (1996). مدرسة المتفرج. ح. إبراهيم (Trans.)، القاهرة، مصر: وزارة الثقافة المصرية.
3. بلبل، ف. (2003). النص المسرحي الكلمة والفعل. دمشق، سوريا: اتحاد كتاب العرب.
4. رأفت، ر. (2021). أوت 2. (مسرح ذوي الاحتياجات الخاصة بين الطموح والواقع. مجلة مسرحنا. (2).
5. سالم وآخرون، أ. م. (د.ت. (قضايا ومشكلات ذوي الاحتياجات الخاصة (Vol. د.ط. (مدارس نور الغد الأهلية.
6. سليمان، ي. (2023-2024). واقع ذوي الاحتياجات الخاصة في المسرح الجزائري، أطروحة دكتوراه، تخصص نقد العرض المسرحي. وهران: كلية الآداب والفنون، جامعة أحمد بن بله.
7. عقيل، م. ي. (2001). متعة المسرح (Vol. 1). الأردن: دار الكندي.